

المسكرين ، وبروز قوى عالمية جديدة واتجاه الدول نحو الاستقلال والامم نحو التحرر والشعوب نحو الثورة .

١ - الحقوق القومية في الثورة القومية البرجوازية

كانت أوروبا في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر ، قد أخذت تضيق بقيودها . كانت المؤسسات الاقطاعية قد أصبحت قيودا تكبل نمو قوى الانتاج الجديدة وأعجز من أن تفي بحاجات أوروبا في عهد الفتوح والسيطرة على العالم . وكانت البرجوازية تطمح الى عالم جديد يضمن مصالحها ومطامحها .

وأخذ الفكر يعبر عن هذه التطلعات . ولما كان الوضع القائم آنذاك يصادر حرية الانسان : يحرمه من أن يفكر بحرية ، ويمنعه من أن يكون له رأي في اختيار دولته ، فقد اتجه الفكر الى معالجة هاتين القضيتين .

فالفكر يجب ان يكون حرا ، وبذلك يستطيع ان يستخدم كل امكانياته استخداما سليما . يقول كانت Kant في هذا المجال : « يجب ان يكون الانسان حرا ليتعلم كيف يستخدم امكانياته بطريقة حرة ومفيدة » (١) .

ولكن الحرية لا تعني ان يكون للانسان حق ان يفكر فقط . انها تعني ان يشارك في اختيار الطريقة التي يحكم بها . وكانت أوروبا ممزقة بين دول اقطاعية صغيرة ودول امبراطورية تتجاوز حدود القوميات ، وكان لا بد من أن ينتهي التمزق الداخلي ، وان تسقط أشكال الدولة الامبراطورية القديمة . ولهذا كانت الدولة القومية هي الحل . يقول مل : « من الشروط الضرورية بصورة عامة للنظم الحرة ان تنسجم حدود الحكومات انسجاما كاملا مع حدود القوميات » (٢) .

ويقول لينين في أطروحته ، الثورة الاشتراكية وحق الامم في تقرير المصير : ان مطلب حق تقرير المصير آثارته البرجوازية الصغيرة في البدء في القرنين السابع عشر والثامن عشر (٣) .

وقد انعكست فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر في بيان الاستقلال الاميركي . ويركز بيان الاستقلال الاميركي على حقائق ثلاث :

الاولى : « ان جميع الناس قد ولدوا متساوين ، وان الخالق قد أنعم عليهم بحقوق معينة لا يمكن انكارها ، وان من بين هذه حق الحياة ، وحق التمتع بالحرية ، وحق البحث عن السعادة » .

الثانية : ان الحصول على هذه الحقوق يتطلب : « ان تقام الحكومات لخدمة الناس على أن تستمد سلطاتها العادلة من تعاون الحكوميين وموافقتهم » .

الثالثة : « وكلما أصبح أي شكل من أشكال الحكومة مصدر خطر على هذه الاهداف ، فمن حق الناس أن يغيروا هذه الحكومة أو أن يلغوا وجودها الغاء ، ومن حقهم ان يقيموا حكومة جديدة على أسس من المبادئ المعينة ، وان ينظموا سلطاتها بطريقة خاصة بحيث تبدو لهم هذه المبادئ وتلك الطريقة قادرة على تأمين سلامتهم وتحقيق سعادتهم » (٤) .

ولن نخوض كثيرا في بحث الفلسفة السياسية للثورة الاميركية . يكفي أن نقول انها جاءت اليهم عن طريق « لوك وهارنجتون وغيرهما من الكتاب الانجليز في القرن السابع عشر » (٥) أكثر مما جاءت اليهم عن طريق المفكرين الفرنسيين أو الالمان .

ان الثورة الاميركية هذه التي كانت صدى للثورة السياسية في أوروبا ، وكانت مفعمة